

حَوْلِيَّةُ سَمِنَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيْطِ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمْنَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيْطِ

مجلة سنوية محكمة تعني بالتاريخ الإسلامي والوسيط

يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط

بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة

للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب

١٨٧٥٠

التقييم الدولي

٢٠١٨/هـ١٤٤٠ م

قطعة ٤ بلوك ٧ - المنطقة التاسعة - شارع د. رؤوف عباس - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨٩١٢ - ٢٤٧٢٨٢٩٤ - ٢٤٧٢٨٢٩٦ - فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1995@yahoo.com



الهيئة المصرية العامة للكتاب



الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

حَوْلِيَّةُ سِمْنَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيْطِ

تُضَدَّرُهَا

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

العدد السادس

القاهرة

٢٠١٨م

رئيس مجلس الإدارة أ. د/ أيمن فؤاد سيد

الهيئة الاستشارية

أ.د/ إسحق تاوضروس عبيد
أ. د/ أيمن فؤاد سيد
أ.د/ حاتم عبد الرحمن الطحاوي
أ.د/ عفاف سيد صبرة
أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق
أ.د/ يسري أحمد زيدان

هيئة التحرير

رئيس التحرير أ. د/ حسين عبد الله مراد
مدير التحرير د/ محمد فوزي رحيل
المحررون : أ. د/ صلاح عاشور
أ. د/ عبير زكريا سليمان
د/ عبد الناصر عبد الحكم
أ.د/ نهلة أنيس مصطفى

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر

- أن يكون الباحث عضوًا في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- أن يتسم البحث بالأصالة المنهجية العلمية ، والجدة في الموضوع .
- أن يكون البحث صحيح اللغة سلس الأسلوب واضح الدلالة .
- ألا يكون قد سبق نشره ، أو قُدِّمَ للنشر إلى جهة أخرى ، وألا يكون مستلًا من رسالة علمية .
- ألا تزيد صفحات البحث عن ٣٠ ورقة .
- أن يكتب المتن بخط Simplified Arabic بنط ١٤ ، والعنوان الرئيس بنط ١٨ Black ، والعناوين الجانبية بنط ١٤ Black .
- الحواشي:
 - = الحواشي العربية بنط ١٢ Simplified Arabic حسب النظام المعمول به في هذا العدد .
 - = الحواشي اللاتينية بنط ١٠ Times New Roman حسب النظام المعمول به في هذا العدد .
- أن تذكر المعلومات البيبلوجرافية للمصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها في الحواشي ، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع .
- يسلم عدد ٢ نسخة ورقية من البحث لمقر الجمعية بمدينة نصر خلف مدرسة المنهل ، وترسل نسخة إلكترونية لمدير التحرير الدكتور/ محمد فوزي رحيل على البريد الإلكتروني raheela2010@gmail.com
- تحكيم البحوث يكون سريًا ، بمعرفة هيئة تحرير المجلة .

كلمة التحرير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه . يسعد هيئة تحرير حولية سمنار ، التاريخ الإسلامي التي يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن تقدم للقراء الكرام العدد السادس ١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٨ م من الحولية ، وهي الحولية التي أسسها الراحل المؤرخ الجليل الأستاذ الدكتور علي السيد علي - رحمه الله - عام ٢٠١١ م . ويضم هذا العدد بين دفتيه أحد عشر بحثًا ، تطوف بنا عبر فرعي التاريخ الإسلامي والوسيط؛ إذ يلحظ المطالع لبحوث العدد تنوع الدراسات المقدمة بين فرعي التخصص ، كتبها مجموعة من الباحثين المجيدين من مختلف الجامعات المصرية ، وافتتح العدد بمقال حول العطاء العلمي لمؤسس السمنار أ. د/ علي السيد علي - طيب الله ثراه - بعنوان «علي السيد رائد دراسات الحرم القدسي الشريف» ، وبدءًا من هذا العدد تنوى أسرة التحرير افتتاح الأعداد القادمة بمقال حول سيرة أحد رواد تخصص التاريخ الإسلامي والوسيط الراحلين أملًا في حفظ سير هؤلاء الأعلام حتى تكون قدوة ونبراسًا لأجيال قادمة من المؤرخين .

وترحب أسرة السمنار بالمتخصصين في التاريخ الإسلامي والوسيط للمشاركة في جلسات السمنار الشهرية ، بإلقاء بحوثهم بشرط الأصالة المنهجية وجدة الموضوع ، ومن يرغب في نشر بحثه في الحولية سوف يقدم للتحكيم السري بمعرفة هيئة التحرير ، وما يجاز منها ينشر في الأعداد التالية إن شاء الله . كما يرحب السمنار بجميع المتخصصين والمهتمين بمختلف فروع التاريخ لحضور الجلسات لإثرائها بالنقاش المثمر . ويطيب لأسرة التحرير تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير لمجلس إدارة الجمعية برئاسة المؤرخ الجليل والمحقق الكبير الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد ؛ لجهودهم الدؤوبة لازدهار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية لتظل في صدارة الجمعيات التاريخية العربية .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل،،،،،،،،

أسرة التحرير

المحتويات

الصفحة

محمد فوزي رحيل	١٦-١١
أسرة ثيوفلاكت ودورها السياسي والديني في روما	
محمد زايد عبد الله	٥٠-١٧
مكتبات الأديرة في ضوء التيببكا البيزنطية	
نعيمة محمد إبراهيم	٨٦-٥١
سفارات العلماء في العصرين الغزنوي والسلجوقي	
مرفت رضا	١٣٠-٨٧
الوشاية وأثرها في البلاطين المرابطي والموحدي	
أحمد إبراهيم رفاعي	١٤٨-١٣١
دولة الخطا في الصين وتركستان وكرمان	
عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم	١٨٢-١٤٩
ادعاء النبوة في مصر والشام عصر سلاطين المماليك	
محمود عبد المقصود ثابت	٢١٨-١٨٣
الكلابية في عصر سلاطين المماليك	
أحمد عبد الله أحمد	٢٤٤-٢١٩
قراءة الجوق وقراءتها في مصر خلال القرنين ٨-٩هـ	
محمد جمال حامد الشوربجي	٢٦٨-٢٤٥
المجددون والتاريخ الإسلامي (الإمام محمد عبده نموذجًا)	
حسام عبد الظاهر	٣٠٢-٢٦٩

حَوْلِيَّةُ سَمِنَارِ التَّأْرِيخِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيْطِ

١٠

صوْرَةُ صِلَاحِ الدِّيْنِ فِي السِّيْنِمَا الْغَرْبِيَّةِ بَيْنَ الْحَقِيْقَةِ وَالْحَيَالِ

فَتْحِي عَبْدُ الْعَزِيْزِ مُحَمَّدٌ ٣٠٣-٣٢٣



دولة الخطا في الصين وتركستان وكرمان

عبد الناصر إبراهيم عبد الحكيم*

الأسماء التي أطلقت عليها :

الخطا، قره خيتاي، وخيتاي^(١)، خيطاي^(٢)، ختان^(٣)، ختائية^(٤)، ختاي^(٥)،

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد - كلية الآداب جامعة أسيوط.

(١) السيد الباز العريني: المغول، القاهرة، دار النهضة العربية، بدون تاريخ، ٣٢؛ جورج لاين: عصر المغول، ترجمة تغريد الغضبان، أبو ظبي - هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ٢٠١٢م، ١٧، ١٨، ٣٥.
(٢) جون جوزيف سولاندرز: الرحل بناء الإمبراطوريات، ترجمة محمد علي أبو درة، مجلة ديوجين (مصباح الفكر) مجلة دولية يصدرها المجلس الدولي للفلسفة بمعاونة (اليونسكو)، العدد الرابع، نوفمبر ١٩٦٦م، ١٢٦.

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمداني المتوفى ٧١٨هـ/١٣١٨م: جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت، محمد موسى هندأوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د.ت) ١/٢، ١١٩.

(٤) جون مان: كوبلاي خان، ترجمة أحمد لطفي، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٣م، ٣١.

(٥) الكاشغري (محمود بن الحسين بن محمد، المتوفى ٤٩٩هـ/١١٠٥م): ديوان لغات الترك، نسخة عن ميكروفيلم، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠، ٢١؛ الجويني (علاء الدين عطاء ملك المتوفى ٦٨١هـ/١٢٨٢م): جهانكشاي (فاتح العالم)، تحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م، ٣: ٨٣، ٩٤؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٦م، ١٣٨.

وخطاي^(١)، قره خطاي^(٢)، قراخطايون^(٣)، قبائل تركية^(٤)، وليس كما ذكر بعض المؤرخين المحدثين أنهم قبائل مغولية^(٥).

- (١) النسوي (محمد بن أحمد ق ١٣/٥٧م): سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، القاهرة دار الفكر العربي ١٩٥٣م، ٤١؛ ابن العربي (أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون المتوفى ١٢٨٦/٥٦٨٥م): مخطوطة تاريخ الأزمنة، ترجمة شادية توفيق حافظ، مراجعة السباعي محمد السباعي، القاهرة، المركز القومي للترجمة ٢٠٠٧م، ٤٢؛ رشيد الدين: المصدر نفسه، ١١٥، ١١٧؛ ثروت عكاشة: إعصار من الشرق سيرة جنكيز خان، القاهرة، دار المعارف ٩٣؛ رينيه غروسيه: جنكيز خان قاهر العالم، ترجمة خالد أسعد عيسى، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٢م، ٢٤٣.
- (٢) أضاف المغول لفظ قره إلى اسم الخطا، ولفظ قره تركي، معناه أسود. فرا: أسود.
- الصفصافي أحمد المرسي: معجم صفصافي، القاهرة، ١٩٧٩م، ٢٢٢؛ فؤاد الصبياد: المغول في التاريخ، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٠م، ٢٩، هامش (٢).
- * تعرف شعوب (قره خطاي) بلغة الخطاي نفسها باسم (خدان) و(ختان)، رشيد الدين: المصدر نفسه، ١١٨، ١١٩.
- (٣) عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، أبو ظبي، المجمع الثقافي ٢٠٠٠م، ٤٩، منصور عبد الحكيم: جنكيز خان إمبراطور الشر وقاهر العالم، دمشق والقاهرة، دار الكتاب العربي ٢٠٠٨م، ٨٤.
- (٤) الكاشغري: المصدر نفسه والصفحات؛ جوزجاني (منهاج الدين عثمان، كتبه، ٦٥٩هـ/ ١٢١٦م): طبقات ناصري، ترجمة ملكة علي التركي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٧م، ٢؛ ١١٤؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المتوفى ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، اعتنى به أبو صهيب الكرامي، الأردن - بيت الأفكار الدولية بدون تاريخ، ٣٣٤، ١٢٤٠، ١٥٢٩؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد المتوفى ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٢م، ٤: ٤٨٣، بارتولد: المرجع نفسه، ١٣٨-١٥١؛ عباس إقبال: المرجع نفسه، ٤٩؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، القاهرة، دار المعارف ١٩٨١م، ١٩؛ فؤاد عبد المعطي الصبياد: المرجع نفسه، ٥، ٦.
- (٥) السيد الباز العريني: المرجع نفسه والصفحة؛ رينيه غروسيه، المرجع نفسه والصفحة؛ صبري عبد اللطيف سليم: المغول وعالم الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي ٢٠٠٨م، ١٩؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، بيروت - دار النفائس ٢٠٠٧م، ٤٥.

دولة الخطا في الصين :

نزلت قبائل الخطا إلى الجنوب من منشوريا في إقليم يعرف باسم ليائو، وأرغموا أسرة سونج (٣٤٩-٥٢١هـ/٩٦٠-١٢٧٩م) على التنازل لهم عن الأرض الممتدة وراء سور الصين العظيم، وأقاموا عليها أسرة منهم تحكمها هي أسرة ليائو Leao، ومعناها في لغتهم «الحديد»^(١).

وحد أبكي (اباؤكي Apaoki) قبائل الخطاي في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأسس دولة الخطاي، ونصب نفسه ملكاً عليها عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م ثم استبدل خطاي بأسرة ليائو^(٢).

تتكون خطاي من عدة ممالك كبرى تختلف أسماؤها باختلاف اللغات؛ فالإقليم الذي كان دائماً مقراً للملوك اسمه باللغة الصينية «جانجتشوخون قوي»، ويعرفه المغوليون باسم «جاوقوت»، والهنود باسم «تشين»، ونحن نطلق عليهم اسم «الخطا». وفي شرق هذا الأقليم إلى الجنوب قليلاً توجد مملكة أخرى يسميها أهل البلاد «منزي»، والمغول «منكياس»، والهنود «ماهاجين» أي تشين الكبرى، وغيرهم يسميها «متشين» و«ماجين»، وتبلغ هذه المملكة عشرة أمثال مملكة جين^(٣).

(١) ثروت عكاشة: المرجع نفسه والصفحة، دانييل إيسيف: تاريخ الصين، ترجمة يوسف شلب الشام، وزارة الثقافة - الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠٨م، ١٠٦؛ إكيتشانوف: حياة تيموجين (جنكيزخان) ترجمة طلحة الطيب، دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٥م، ١٠؛ DAVID MORGAN, *The Mongols, Black Well, Cambridge, Oxford, 1986, p.128*; MORRIS ROSSABI, *Khubilai Khan, His Life And Times*, University Of California Press, Los Angeles, 1989, p.36; HERBERT FRANKE and DENIS TWITCHETT, *Cambridge History Of China*, Cambridge University Press, 2008, Vol.6, p.455.

(٢) جياو جيان: تاريخ الصين، بكين، دار بناء الصين ١٩٨٧م، ١١.

(٣) رشيد الدين: المصدر نفسه، ١١٠، ١١١؛ البناكتي: سليمان بن داود المتوفى ٧٣٠هـ/

امتد نفوذها إلى سواحل البحر شرقاً (البحر الأصفر) ، إلى جبل آلتاي^(١) غرباً ومن الصحراء المنغولية ، ووادي نهر هيلونغ^(٢) شمالاً إلى سهول خبي^(٣) الشاسعة جنوباً فتجمع في ظل حكمه قوميات خطاي وهان^(٤) وهويخه^(٥) واختار شانغجينغ^(٦) قرب

=١٣٢٩م : روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب (تاريخ بناكتي) تحقيق محمود عبد الكريم علي ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٧م ، ٣٧٧.

(١) جبل آلتاي : تعرف بجبال آلتاي أو جبال الذهب وهي إحدى جبال السلاسل الشمالية الغربية للصين ، تقع في غرب الصين على الحدود بين الصين ومنغوليا وبلاد الروس . وتمتد في النطاق الشمالي من مقاطعة سينكيانج وتنحدر بشكل تدريجي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي .

شيوى قوانغ : جغرافيا الصين ، ترجمة محمد أبو جراد ، بكين ، دار النشر باللغات الأجنبية ١٩٨٧م ،

١٥.

(٢) نهر هيلونغ : معناه التنين الأسود ، جاء اسمه من لون مياهه التي تجرى عبر مناطق كثيفة الغابات وتغطيها تربة سمراء . ولهذا النهر مصدران المصدر الجنوبي والرئيسي نهر أرقون ومجراه الأعلى نهر هيلار الذى ينبع من الجانب الغربى من جبال شينغان بمنغوليا ، والمصدر الشمالى هو نهر شيلكا الذى ينبع من السفوح الشرقية لجبال كنتى في شمال منغوليا . ويلتقى كلا المجرىين غرب موخه فيكونان نهر هيلونغ . نفسه ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) سهل خبي : في الجنوب الشرقي ، تشكل من الرواسب الغرينية للنهر الأصفر ونهرى هايبخه ولوانخه يرتفع أقل من ٥٠٠م فوق سطح البحر وهو امتداد لسهل شمال الصين . نفسه ، ٩٥ .

(٤) قومية هان : تعتبر قومية هان الأكبر من حيث عدد السكان ويقطن أبناء هذه القومية في كل أرجاء الصين ، ويتمركزون بكثرة في أحواض الأنهار الثلاثة الرئيسية . النهر الأصفر . نهر اليانجستى ، ونهر اللؤلؤ وفى سهول (سونغ هوا- ليا وخه) . أمانى أبو العنين : القوميات الصينية ، بحث في كتاب الصين بين الماضى والحاضر ، المركز العربى الإسلامى للدراسات الغربية ، مركز الدراسات الصينية ، كلية الألسن جامعة عين شمس ، ٢٠٠٨م ، ٢٦ .

(٥) قومية هويخه (هوى) : أكبر قومية صينية مسلمة تنتشر في مناطق واسعة في الصين . تشونينغ :

القوميات المسلمة في الصين ، بكين ، دار النشر باللغات الأجنبية ١٩٨٨م ، ٧ .

(٦) شانغجينغ بمقاطعة لياونينغ حالياً ، تقع في الطرف الجنوبي من شمال شرق الصين ويحدها البحر الأصفر وبحر بوهاي من الجنوب . جياوجيان : المرجع نفسه والصفحة ؛ شيوى قوانغ : المرجع نفسه ،

١٠٣ .

لواء بالين عاصمة للدولة^(١).

ذكر رشيد الدين أن «ولايات الخطا بلاد واسعة جدًا وممتدة الأطراف ، وعامرة إلى أقصى حد ، ويذكر الرواة الثقافات أنه ليس في كل الربع المسكون بلاد تضارعها قط من حيث العمران وكثرة الخلق»^(٢).

كان دأب ملوك «الخطا» أن يفرضوا الضرائب على من هم خارج السور العظيم من بدو ، وكان هؤلاء البدو في شد وجذب مع أولئك الملوك ، لا يؤدون إليهم ما فرضوه عليهم إلا حين يحسون منهم قوة وبأسًا^(٣).

فرضت أسرة ليائو (الخطا) على مملكة ماجين (أسرة سونج) خراجًا سنويًا قدره تسعمائة طومان «تسعة آلاف ألف درهم»^(٤).

تحولت أسرة ليائو إلى سلطة حكم إقطاعية بزعامة شيوخ القبائل وملاك الأراضي من قوميتي هان وخطاي ، وشنت هجمات ضد أسرة سونج من أجل نهب الثروات والسكان سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م . واقتربت قواتها من مدينة تشانتشو شمال النهر الأصفر ، عاصمة مقاطعة بويانغ^(٥) ، وأصبحت عاصمة سونج مهددة.

وصلت إلى إمبراطور سونج تشن تسونغ (٣٨٧-٤١٣هـ / ٩٩٧-١٠٢٢م) تقارير تشير إلى وقوع تشانتشو في قبضة الغزاة من قوات ليائو ، فاستشار الوزراء ، فاقتراح عليه بعضهم الفرار إلى الجنوب ، ورفض رئيس الوزراء كيوتشون

(١) جياوجيان : المرجع نفسه والصفحة.

(٢) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكناي قآن إلى تيمور قآن ، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب ، بيروت - دار النهضة العربية ١٩٨٣م ، ٢٧١ .

(٣) ثروت عكاشة : المرجع نفسه ، ٩٤ .

(٤) رشيد الدين : جامع التواريخ ، ١/٢ : ١١١ ؛ البناكتي : المصدر نفسه ، ٣٧٧ .

(٥) بويانغ : مقاطعة خنان حاليًا ، جياوجيان : المرجع نفسه ، ١١ / ٢ .

(٣٥٠-٤١٤هـ / ٩٦١-١٠٢٣م) واتهمهم بالخيانة . وارتأى بدلاً عن ذلك مقاومة الغزاة ، وأن يكون الإمبراطور على رأس الجيش ، وقال : «لاسيب لنا إلا أن نتقدم إلى الأمام ، ولو رجعنا خطوة واحدة فلسوف تفتت همم المحاربين» ، فواصل الإمبراطور التقدم إلى الأمام حتى وصل إلى شمال مدينة تشانتشو.

لم يحرص إمبراطور سونج على محاربة لياو ، بل سعى إلى مفاوضات سلمية ، فكانت النتيجة أن انسحبت قوات لياو مقابل أن تدفع حكومة سونج سنويًا مائة ألف أوقية من الفضة ، ومائتي ألف بي من الحرير . وعرفت هذه الحادثة باسم «التحالف على حافة تشانتشو»^(١) . أو معاهدة شان - يوان Shan-Yaan^(٢)

استطاع أبكي (أباؤكي Apaoki) مؤسس أسرة لياو أن يخضع بلاد المغول^(٣) ، وفرض ملوك الصين الشمالية (أسرة لياو) الخراج على القبائل المغولية والتركية ومنها التتار^(٤) ، «فكانوا مطيعين لسلطين الختاي يؤدون الخراج إليهم»^(٥) ، «وكانوا يدينون بالولاء لأسرة لياو التي تربطهم بها صلات قرى اثنية»^(٦) .

وعرف التتار في عهد أسرة لياو في المصادر الصينية بالتسزويو^(٧) ، وقد تحدث

(١) جياوجيان : المرجع نفسه والجزء ١١ ، ١٢ .

(٢) MORRIS ROSSABI, *Op.Cit*, p.41.

(٣) السيد الباز العربي : المرجع نفسه ، ٣٢ ؛ بارتولد : المرجع نفسه ، ١٣٨ .

(٤) التتار : هم من الترك الذين يلقبون بالمنغول ، ومجموعة بيوت التتار سبعين ألف بيت ، مقامهم عند حدود الخطا في بوبورنا في الأقاليم الواقعة بالقرب من بحيرات بوينور وكيولون نور بين نهري كيولون وخينغان الأوسط ، وهي منطقة غنية بالفضة . رشيد الدين : جامع التواريخ ، جنكيزخان ، مخطوطة مكتبة أيا صوفيا ، تركيا تحت رقم ٣٠٣٤ ، نسخة مصورة معهد المخطوطات العربية ، ١/١ أوراق ٢٥ ، ٣٨ ، ٤٦ ؛ كيتشانوف : المرجع نفسه ، ٤١ .

(٥) رشيد الدين : المخطوط السابق والمجلد والجزء ، ورقة ٤٦ .

(٦) كيتشانوف : المرجع نفسه ، ٢٣ .

(٧) المرجع نفسه ، ١٤ ، ٤١ .

رشيد الدين عن سبب آخر غير صلوات القربى لدخول التتار في طاعة أسرة ليائو (الخطا)؛ «كانت أقوام التتار تحت طاعة التان خان ملك الخطائية، وهم في عبوديته بسبب أنهم قتلوا رسل الخان، ورسخت العداوة في قلوبهم، ولما وقعت العداوة حصلت المحاربة والمقاتلة»^(١).

وصفوة القول، فقد دخل التتار في طاعة أسرة ليائو (الخطا) بالقوة بعد انتصار أسرة ليائو عليهم وإخضاعهم، وفرضوا عليهم الخراج.

وفرض ملوك أسرة ليائو الخراج على القبائل المنغولية، ومنها قبيلة قيات (قبيلة جنكيزخان)، لكن يسوكاي بهادر «والده» فرض نفوذه على القبائل القاطنة في أطراف حدوده مما دفع ملوك أسرة ليائو إلى التفكير في القضاء عليه، فجهزوا جيشاً تقابل مع يسوكاي، وهزم جيش الصين (أسرة ليائو)، وتخلص يسوكاي من دفع الخراج السنوي^(٢)، وحاول ملوك أسرة ليائو استقطاب المنغول بمنحهم مناصب وألقاب شرف مثل: لينفسين (قائد حرس الحدود)، وسياوفين (يقابل منصب الوزير)^(٣).

استمرت أسرة ليائو (الخطا) تحكم شمال الصين من سنة ٣٠٤-٥١٩هـ/ ٩١٦-١٢٥م أي حوالي قرنين من الزمان^(٤). وخلال تلك الفترة التقوا في سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م بالتجار المسلمين، ليس لدينا إشارات عن نتائج هذا اللقاء، لكن يمكن أن نستنتج أن أسرة ليائو (الخطا) - وهم بدو بوذيون - قد استقبلوا بعض المؤثرات الإسلامية من خلال هذا اللقاء وغيره إلا بما نفسر هجرة الخطا من شمال

(١) المخطوط السابق والمجلد والجزء، ورقة ١١٢.

(٢) محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ، ترجمة أحمد الخولي، القاهرة، المركز القومي للترجمة ٢٠٠٩م، ٣٢.

(٣) كيتشانوف: المرجع نفسه، ٢٣.

(٤) عبد السلام عبد العزيز فهمي: المرجع نفسه، ٢٠.

الصين إلى منطقة التركستان وهي من بلاد المسلمين لكي يستقروا فيها دون التفكير في العودة إلى الوطن الأصلي ، وكيف نفسر روح التسامح الديني التي عاملوا من خلالها رعاياهم من المسلمين في تلك المناطق^(١).

كانت الحالة السياسية في الصين في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي من الاضطراب بمكان مما أدى إلى هجرة قبائل الخطا من موطنهم الأصلي شمال الصين إلى غرب إقليم التركستان^(٢).

في مقاطعة من مقاطعات منشوريا كانت تنزل قبيلة «أسرة كين»^(٣)، ومعناها في لغتهم «الذهب» ، وكانت تدين بالولاء لأسرة ليائو وتخضع لها، غير أن الترف الذي أفسد أسرة ليائو لم يفسد أسرة كين، وحافظت على بداوتها وتقاليدها، وأتيح لأسرة كين أن تستأثر بالسلطان دون أسرة ليائو، وأصبحت صاحبة السيادة على إقليم الخطاي (شمال الصين) في عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م وعلى أسرة سونج^(٤).

وقد بقي جانبًا من الخطا في الصين في ظل حكم أسرة كين حتى جاءتهم الفرصة فثاروا عليهم واستعادوا مملكتهم التي صارت من توابع المنغول^(٥).

(١) بارتولد: المرجع نفسه، ١٣٨؛ صبري سليم: المرجع نفسه، ٢٠.

(٢) منصور عبد الحكيم: المرجع نفسه، ٨٤.

(٣) أسرة كين: كانوا يسيطرون على ممالك الخطا (الصين الشمالية) بالإضافة إلى أملاكهم الأصلية في منشوريا ومنغوليا، اتخذوا مدينة بكين عاصمة لهم، ثم انتقلوا إلى مدينة كايفونغ، وجعلوها العاصمة بدلاً عن بكين، وأطلق المنغول على حكام أسرة كين لقب «التون خان». حكمت أكثر من قرن (٥٠٩-٦٣٢هـ/١١١٥-١٢٣٤م)، وسقطت على يد المنغول ٦٣٢هـ/١٢٣٤م. النسوي: المصدر نفسه، ٣٨ حاشية ٦؛ فؤاد الصياد: المرجع نفسه، ٥.

(٤) جورج لايين: المرجع نفسه، ١٧؛ جون مان: المرجع نفسه، ٣١؛ ثروت عكاشة: المرجع نفسه،

٩٤.

(٥) العريني: المرجع نفسه، ٣٢؛ صبري سليم: المرجع نفسه، ٢٠.

حملات جنكيزخان ضد الصين الشمالية:

أثناء حكم تيان تسزيوان (٥٣٣-٥٣٥هـ/١١٣٨-١١٤٠م) امتعض المنغول من حكمه، فأرسل إليهم القائد العام تسزون بي جيوشه عدة مرات، لكن لم يتمكن من إخضاعهم، فقام بتوزيع جيوشه على المواقع الاستراتيجية الأكثر أهمية، أسبغوا على المنغول العطايا الثمينة. وأطلق على إمبراطور (أسرة كين) تسزويون خواندي بمعنى «الإمبراطور مؤسس الأسرة الحاكمة»^(١).

استدعى الإمبراطور الصيني الشمالي شانغ-تونغ، جنكيزخان لمساعدته في حروبه ضد إمبراطورية سونج الجنوبية، وكان جنكيزخان مسجلاً في الوثائق الصينية بصفة (قائد ضد العصاة) مما أتاح له الاطلاع على معالم الإمبراطورية.

وعندما توفي الإمبراطور شانغ-تونغ عام (٦٠٥هـ/١٢٠٨م) خلفه ابنه واي-وانغ، ولم يكن على مستوى والده بتحمل المسؤولية، فأرسل إلى جنكيزخان يعلمه بجلوسه على العرش، ويطلب منه دفع الخراج الذي كان يدفعه لابنه، فرفض جنكيزخان الأمر الذي عد رفضاً بالاعتراف بالإمبراطور الجديد، فتوترت العلاقات بينهما، مما أدى إلى الصدام والحرب بينهما.

قام جنكيزخان بثلاث حملات عسكرية ضد الصين الشمالية، نفذت الأولى عام ٦٠٧هـ/١٢١١م، وسيطر على مدينة تينونغ - فو الحصينة، واخفقت القوات الصينية في التصدي له، وواصلت القوات المنغولية الزحف نحو العاصمة بن-كنغ بكين، وأصيب الإمبراطور بالذعر، وعزم على الهرب لو لم يردعه وزراؤه، واستولى المنغول على عدد من المدن، واستمرت العاصمة صامدة.

الحملة الثانية في أواخر ٦٠٨هـ/ ربيع ١٢١٢م مرتبطة بمهاجمة الصينيين أسرة

(١) كيتشانوف: المرجع نفسه، ٤٦، ٤٧.

ليائو (الخطا)، حليفة جنكيزخان، والتمس أفرادها المساعدة من الخان المنغولي، لأنهم كانوا يرغبون في الانتقام من قاهريهم^(١).

ثار أحد أمراء أسرة ليائو (الخطا) وهو (بي-لو-ليو-كو) ضد أسرة كين (ملوك الذهب)، وجمع رجاله وبنى جلده، وانضم إلى المنغول، وكان الإقليم الذي سكن به هؤلاء الخطا هو إقليم لياويانغ في جنوب منشوريا^(٢).

أرسل ملوك الذهب (أسرة كين) جيشاً تعدده ستين ألف للقضاء على الثورة. فأرسل جنكيزخان قائده جيبي^(٣) الذي قام بحصار ليائو-يانغ، وفشل في تحقيق أي كسب، فعمد إلى الحيلة، فتظاهر بالانسحاب طوال يومين، ثم عاد إلى مكانه السابق عند المدينة في ليلة واحدة، وكان الصينيون قد خرجوا من المدينة وانهمكوا في نهب الأمتعة المنغولية ونقلها إلى داخل المدينة، وفاجأهم القائد المنغولي، وكانت النتيجة مجزرة رهيبة واحتلال ليائو-يانغ^(٤). واستطاع (بي-لو-ليو-كو) أن يعلن نفسه ملكاً على شعب الخطا تحت سيادة جنكيزخان^(٥).

قام جنكيزخان بحملة ثالثة إثر قتل الإمبراطور واي-وانغ واعتلاء هيسوان-تسنگ العرش عام ٦١٠هـ/١٢١٣م وانتهاز فرصة الفوضى، ووجه هجومه إلى قلب الصين الشمالية ودخلها في العام التالي.

أدرك جنكيزخان صعوبة الاستيلاء على بكين وأرسل إلى الإمبراطور يعرض عليه السلام مقابل:

(١) جورج لاين: المرجع نفسه، ١٨؛ محمد سهيل طقوش: المرجع نفسه، ٤٤، ٤٧.

(٢) رينيه غروسيه: المرجع نفسه، ٢٤٣.

(٣) جيبي: هو جيرقو أداي من قبيلة التايشي أوت، أطلق عليه جنكيزخان (جيبي) أي السهم. رينيه

غروسيه: المرجع نفسه، ١٤١.

(٤) محمد سهيل طقوش: المرجع نفسه، ٤٧، ٤٨.

(٥) رينيه غروسيه: المرجع نفسه، ٢٤٣.

١- الاحتفاظ بما استولى عليه من أراضي شمال النهر الأصفر.

٢- بذل الهدايا لقادته لتخفيف حنقهم وغضبهم عليه.

٣- عدم مهاجمة أسرة ليائو الخطائية.

قَبِلَ الإمبراطور العرض لإقرار السلام وتفاديًا لخسارة المزيد من الأراضي ، ثم نكث بتعهداته ، وقرر مغادرة العاصمة إلى كاي-فونغ في إقليم يونان وراء النهر الأصفر ، معتقدًا أن حواجز ما وراء النهر كفيلة بصد غارات المنغول ، وترك مهمة الدفاع عن العاصمة إلى ابنه الأكبر ، وعد شعبه وجيشه هذا الانسحاب ضعفًا وخيانة ، فعمت الفوضى المدينة ، وتمردت بعض القوى التي كانت برفقة الإمبراطور والتحقت بالمنغول.

اجتمع أعيان المدينة وجددوا ولاءهم للأسرة الحاكمة ، وقرروا متابعة الحرب ، لكن المفاجأة أن استدعى الإمبراطور ابنه ليلحق به إلى الجنوب ، وعين مكانه القائد ين-وانغ ، فبادر جنكيزخان في ذي القعدة ٦١١هـ/١٢١٥م إلى إرسال أفضل فرقة عسكرية إلى الجنوب لمطاردة الإمبراطور الصيني الذي اضطر إلى عبور النهر إلى أراضي السونج أعدائه القدامى للاحتماء بهم.

وتقدم جنكيزخان على رأس الجيش تجاه العاصمة ، وعسكر بالقرب من السور العظيم ، وأرسل قوة عسكرية بقيادة موقلي ، وهو من أسرة ليائو لاقحامها ، ودخل موقلي المدينة في محرم ٦١٢هـ/١٢١٥م واستولى عليها ، وعهد إليه جنكيزخان بمهاجمة إمبراطورية السونج^(١).

سمح جنكيزخان ل (تشو-تسي-آي) وهو أحد أفراد أسرة ليائو أن يدخل في خدمته ، وقد حث جنكيزخان على عدم قتل سكان المدن الصينية وتحويل البلاد

(١) دانييل إليسف : المرجع نفسه ، ١٠٦ ، ١٠٧ ؛ محمد سهيل طقوش : المرجع نفسه ، ٤٨ ،

إلى صراع ، وذكر لسيدته جنكيزخان أن الحرب والفتح لن يكون لهما جدوى إذا لم تقم في البلاد المفتوحة إدارة رشيدة قادرة ، وأن فرض ضرائب منتظمة أفضل من النهب والتدمير^(١).

وصفوة القول ، فقد أسهمت أسرة ليائو (الخطا) في الثورة على أسرة كي ، واستعانوا بجنكيزخان وانتصروا ، كما أسهم القائد موقلي أحد أفراد أسرة ليائو في الاستيلاء على بكين عاصمة أسرة كين ، وأسهم (تشو - تسي - آي) أحد أفراد أسرة ليائو في عدم تنكيل جنكيزخان بالصينيين ، وتحويل أراضيهم إلى مراع ، وأخبره أن فرض الضرائب أفضل من النهب.

اختيار قوبلاي عاصمة ليائو وكين عاصمة له:

نقل قوبلاي (٦٥٨-٦٩٣هـ/١٢٦٠-١٢٩٤م) العاصمة من منغوليا إلى شمال الصين من قراقورم إلى المدينة الجديدة بكين ، تم هذا بمساعدة مستشاره ليويينج تشينج ، أمر قوبلاي عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م بإنشاء مدينة عرفت بدادو (العاصمة الكبرى) ، وعرفت بخانباتق (مدينة الخان) بالنسبة للأتراك ، واطلق المنغول على هذه المدينة دايدو ، وتدعى باللغة الخطائية «جونكدو» ، واختار قوبلاي أن تبنى العاصمة على موقع غير تقليدي على عكس العواصم الصينية السابقة التي بنيت بالقرب من النهر الأصفر أو أحد روافده ، فبنيت دادو بالقرب من الحدود الشمالية للصين^(٢).

(١) جون جوزيف سوندرز: البحث نفسه ، ١٢٦.

(٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، تاريخ خلفاء جنكيزخان ، ٢٧١؛ HERBERT FRANKE and

DENIS TWITCHETT, *Loc. Cit.*, pp.454, 455.

النظام الإدارى عند الخطا :

ذكر رشيد الدين : «يطلق على الأمراء العظام الذين يشقون طريقهم إلى النيابة والوزارة لقب جينكسانك، ويقال لأمير الجيش «طايفو»، ولأمير التومان «ونكشي»، وللأمراء والوزراء ونواب الديوان الذين يكونون من التازيك والخطا والأويغور «فنجان» وجرت العادة على أن يكون في الديوان الكبير أربعة «جينكسانك» من الأمراء العظام، وأربعة فنجان من الأمراء الكبار ... ولهؤلاء أيضًا نواب في الديوان ومناصب الأمراء والحكام هناك تكون بحسب المراتب .

المرتبة الأولى - جينكسانك : وهي لمن كانت لهم الوزارة والنيابة.

المرتبة الثانية - طايفو: وتكون لأمير الجيش ... وعليه أن يرجع الى جينكسانك.

المرتبة الثالثة - فنجان : وتكون لنائب ووزير الديوان.

المرتبة الرابعة - يوجينك

المرتبة الخامسة - زوجينك.

المرتبة السادسة - سم جينك.

المرتبة السابعة - سمى .

المرتبة الثامنة - لنجون.

المرتبة التاسعة - غير معروفة ويكون الكتاب جميعًا مرؤوسين له^(١) .

وفي عهد المنغول كانوا يمنحون أهل الخطا منصب «الفنجانية»^(٢).

(١) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ٢٧٥، ٢٧٦ .

(٢) نفسه، ٢٧٦.

وهكذا وضح لنا رشيد الدين مراتب أمراء ووزراء وقادة وكتاب الخطا واستمرت هذه القواعد أيضا في عهد المنغول، وتولى الخطا في عهدهم منصب الفنجانية.

هجرة الخطا إلى التركستان:

ذكر جوزجاني «أن أول خروج للترك كان حينما نزحت قبائل الخطا من بلاد الصين وديار المشرق إلى حدود قبالق^(١) وبلاساغون^(٢)، وشق عصا الطاعة على ملك طمغاج^(٣)، واتخذوا من حدود البلاد الإسلامية مقامًا ومرعى لهم، وقد قبل الملوك المسلمون الذين كانوا ينتسبون إلى أفراسياب^(٤)، وكانوا من سلالة أيلك

(١) قبالق: مدينة في تركستان الشرقية بجوار كاشغر وختن، كانت خاضعة لملوك الترك الخانية . الجويني: المصدر نفسه، ١: ٨٠ حاشية ١.

(٢) بلاساغون: بلدة من ثغور الترك وراء نهر سيحون قريبة من كاشغر. السمعاني (عبد الكرم بن محمد بن منصور المتوفى ١١٦٦هـ/١١٦٦م): الأنساب، بيروت، دار الجنان، ١٩٨٨م، ١: ٤٢٤.

(٣) طمغاج: هو إبراهيم طمغاج خان بن الأيلك نصر (البوري تكين) الخاقان الأعظم للدولة الخانية (٤٤٤-٤٦٠هـ/١٠٥٢-١٠٦٨م) من ألقابه عز الأمة، وكهف المسلمين، مؤيد العدل عماد الدولة. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب المتوفى ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م، ٢٦: ٥٥؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت ١٩٨١م، ٤٦٢؛ بارتولد: الإبلخانية، بحث في دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، القاهرة، دار الشعب ١٩٣٣م، ٥: ٤٠٢، ٤٠٣.

(٤) أفراسياب: أطلق على الدولة الخانية آل أفراسياب، نتيجة لتأثرهم بالملاحم الفارسية، ونعلم من محمود الكاشغري أن أفراسياب هو بعينه البطل التركي «ألب أرثونكا». وأطلق على الدولة الخانية عدة أسماء منها: آل خاقان «الملوك»، والخانية، والأيلك خانية «ملك القبيلة»، والقراخانية «الملك الرئيس». العروضي السمرقندي (أحمد بن عمر بن علي، المتوفى ٥٦٠هـ/١٠٦٤م): جهار مقالة، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط الأولى، ١٩٤٩م، ١٤١؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ١٠٣؛ تاريخ إيران درقرون نخستين إسلامي، ترجمة جواد =

ما ممن انقادوا للسلاجقة^(١) رحمهم الله تعالى منح تلك الصحاري والمراعي لهم^(٢).

وقد حدثت الهجرة اتجاه الغرب إلى التركستان عن طريقين أولهما عبر بلاد الأتراك الأويغور إلى منطقة حوض نهر تاريم وفرغانة ، وثانيهما إلى غربي منغوليا ثم بلاد القرغيز في أعالي نهر ينسي ثم إلى الجنوب الغربي حيث شيد الخطا مدينة أميل^(٣).
وقد تعرض أصحاب الطريق الأول لبطش خان كاشغر^(٤)، ونجح أصحاب

= فلاطوري ، شركة انتشارات علمي وفرهنكي ، جاب سوم ، ١٣٤٩ ، مجلد أول ، ١ : ١٩٠ ؛ فراي : بخارا دستاورد قرون وسطي ، ترجمة محمود محمودي ، شركة انتشارات علمي وفرهنكي ، جاب دوم ، ١٣٦٥ ، ١٦٤ ؛ BOSWORTH, *The Medieval History Of Iran Afghanistan and Central Asia*, London 1977, V11 p.62; Howorth, *The Northern Frontiers of China*, *Journal The Royal Asiatic Society*, 1898, p.467.

(١) السلاجقة : أو السلجوقية نسبة إلي سلجق . بعض المؤرخين أثبتوا في اسمه واؤا ، فقالوا سلجوق وهذا خطأ . والده يقاق وقيل دقاق بمعنى القوس الحديد ، اعتنق الإسلام ، كان مقدم طائفة من الأتراك ، وعندما توفي ظهر ابنه سلجق ونزح وقومه من تركستان الي ما وراء النهر وكان لسلاجق أربعة أبناء هم إسرائيل (أرسلان بيغو) وميكائيل ويونس وموسي بيغو. العماد الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد ، المتوفى ٥٩٧هـ/١٢٠١م) : تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن علي البنداري ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، ط الثالثة ، ١٩٨٠م ، ص ٧؛ الراوندي (محمد بن علي بن سليمان المتوفى ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) : راحة الصدور وآية السرور ، ترجمة إبراهيم الشواربي وعبد النعيم حسنين وفؤاد الصياد ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥م ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ؛ النويري : المصدر نفسه ، ٢٦ : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ؛ وانظر أيضًا : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧م ، ٤٥٩ .

(٢) جوزجاني : المصدر نفسه والجزء ، ١١٤ .

(٣) إميل : اسم نهر يقع غرب المنطقة المنغولية ويصب في بحيرة الأكلول ويسمونه الآن إميل ويميل ويقع حاليًا الي جو كوجاك الحالية. الجويني : المصدر نفسه ، ١ : ٨٠ حاشية ٤ ؛ بارتولد : تاريخ الترك ، ١٤٠ ؛ صبري سليم : المرجع نفسه ، ٢٠ .

(٤) كاشغر : هي مدينة وقرى ورساتيق ، وهي في وسط بلاد الترك وهي قاعدة تركستان . ياقوت =

الطريق الثاني الذي اجتاز غرب منغوليا ، فقد اتجه إلى الجنوب الغربي ، وبنى مدينة أميل .

واستولى الخطا على مدينة بلاساغون من الدولة الخانية واتخذوها مقراً لحكومتهم ثم اتجهوا بغزواتهم تجاه الشرق ، فأخضعوا مملكة كاشغر ، ثم اتجهوا إلى الشمال الشرقي ليؤدبوا القرغيز أعداءهم القدماء ، وخضع لهم كذلك الأويغور ، وفي سنة ١١٣٧هـ/١١٣٧م بدأوا يتدخلون في شئون تركستان الغربية ، وهزموا خان سمرقند بالقرب من خجند^(١) .

انتصار الخطا على السلطان سنجر^(٢) وملكهم ما وراء النهر:

في سنة ١١٤١هـ/١١٤١م حدثت معركة قطوان^(٣) بين السلطان سنجر وكورخان^(٤) الخطا ، وترجع أسباب هذه المعركة إلى:

١- إن السلطان سنجر قتل ابناً لخوازمشاه أتمز بن محمد^(٥) ، فبعث

=الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ، دار إحياء الكتب العلمية ، ١٩٩٠م ، ٧ : ١١٤ ؛ أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل المتوفى ٨٢١هـ/١٤١٨م) : تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م ، ٥٠٥ .

(١) بارتولد : تاريخ الترك ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) سنجر : السلطان المعظم معز الدين عماد آل سلجوق أبو الحارث سنجر شاه برهان أمير المؤمنين ابن السلطان جلال الدولة ملكشاه ، قيل له سنجر لأنه ولد بمدينة سنجار . العماد الأصفهاني : المصدر نفسه ، ١٢٠ ؛ الراوندي : المصدر نفسه ، ١٤٣ ؛ النويري : المصدر نفسه ، ٢٦ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٣) قطوان : قرية من قرى سمرقند على خمسة فراسخ منها . ياقوت الحموي : المصدر نفسه ، ٦ :

٧١ .

(٤) كورخان : لقب ملوك الخطا ومعناه ملك الملوك . فؤاد الصياد : المرجع نفسه ، ٢٩ .

(٥) أتمز بن محمد : هو أبو المظفر علاء الدولة أتمز بن قضب الدين محمد ، حكم الدولة الخوارزمية في الفترة من (٥٢١-٥٥١هـ/١١٥٦-١١٧٢م) كان تابعاً لسنجر ما يقرب من ثماني سنوات ، طمع في الاستقلال منذ عام ٥٣٠هـ/١١٣٠م وشرع يسيطر على الأجزاء السفلى من نهر جيحون ، وحذف اسم =

خوارزمشاه إلى الخطا وفيما وراء النهر يطعمهم في البلاد ويحثهم على قصد مملكة سنجر.

٢- اشتكى محمود خان بن محمد خان^(١) خان ما وراء النهر من الجنود القاراغلية. فقصدهم السلطان سنجر فلجأوا إلى كورخان الخطا، فكتب كورخان إلى السلطان سنجر يطلب العفو عن الأتراك القاراغلية، فلم يقبل السلطان شفاعته وكتب يدعو إلى الإسلام ويتهدده إن لم يجب إليه^(٢).

٣- إن بعض فرسان القرلوق هزموا ونكبوا عدة مرات، فخافوا عقاب السلطان سنجر فأرسلوا شخصاً منهم يستدعي الخطا^(٣).

٤- انتشرت في سمرقند خيول ومواشي القرلوق، وأراد القرلوق الدخول في خدمة السلطان وحمائته، فأرسلوا إلى السلطان سنجر خمسة آلاف جمل وخمسة آلاف فرس وخمسين ألف رأس من الغنم، فلم يقبل هذا منهم فدخلوا بلاد الترك قاصدين كورخان صاحب الخطا^(٤).

=سنجر من الخطبة والسكة وهاجم خراسان، ولم يكن السلطان سنجر يقادر على منعه حتى عام ٥٣٧هـ/ ١١٤٠ م. محمد دبیر سياتي: المرجع نفسه، ٢٢، ٢٣.

(١) محمود خان: ابن أرسلان خان عينه السلطان سنجر خائناً أكبر على بلاد ما وراء النهر (٥٢٦-٥٣٦هـ/١١٣١-١١٤١م). ابن خلدون: المصدر نفسه، ٤: ٣٩٦، ٣٩٧؛ بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة حسين علي اللبودي، الكويت، مؤسسة الشراع العربي ١٩٩٥م، ١٦٢؛ زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، مطبعة فؤاد الأول، ١٩٥١م، ص ٣١٣؛ ستانلي لين بول: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٢م، ٢٨٢.

(٢) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي المتوفى ٥٩٧هـ/١٢٠١م): الكامل في التاريخ، بيروت - دار صادر ١٩٧٩م، ١١: ٨١، ٨٥.

(٣) الراوندي: المصدر نفسه، ٢٦١.

(٤) العماد الأصفهاني: المصدر نفسه، ٢٥٣.

استعد كورخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا وسار في ثلاثمائة ألف فارس وقصد السلطان سنجر والتقى الطرفان في قطوان واقتتلوا أشد قتال وانهزم سنجر وقتل من جيشه ثلاثون ألف قتيل منهم الحسام عمر بن عبدالعزيز بن مازة البخارى الفقيه الحنفى ، وأسرت زوجة السلطان سنجر وتوجه السلطان إلى ترمذ^(١).

وبهذه الهزيمة انتهت شهرة سنجر العسكرية وضاع معها كل نفوذ السلاجقة ببلاد ما وراء النهر.

استولى الخطا على بلاد ماوراء النهر وسمرقند بعد معركة قطوان ، وكان أمراء الناحية وسلاطينهم يدفعون إلى الكورخان الخراج بانتظام وكانوا يحكمون تحت تبعيته بلقب السلطان والأمير وتعاونوا تعاوناً وثيقاً مع الخطا^(٢).

واستقرت دولة الخطا بما وراء النهر وبقي كورخان حتى سنة ١١٤٢هـ/١١٤٢م وكانت له هيبة عظيمة ، ولم يسلط أميراً على إقطاع بل كان يعطيهم من عنده ويقول : متى أخذ الإقطاع ظلموا وكان لا يقدم أميراً على أكثر من مائة فارس ، حتى لا يقدر على العصيان عليه ، وكان ينهى أصحابه عن الظلم وينهى عن السكر ويعاقب عليه ، ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه^(٣).

وقد ذكر العماد الأصفهاني أن الكورخان عندما استولى على بلاد ما وراء النهر

(١) نفسه ، ٢٥٣ ، ٢٥٤؛ الراوندي : المصدر نفسه ، ٢٦٢؛ ابن الأثير : المصدر نفسه والمجلد ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦؛ القلقشندي : المصدر نفسه ، والمجلد : ٤٤٧؛ فاميري : تاريخ بخاري ، ترجمة أحمد محمود الساداتي ، القاهرة ، نهضة الشرق ، ط ٢ ، ١٩٨٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٤٤ ، pp.497، Howrth, Loc. Cit. . 498 .

(٢) عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م ، ٣٣٤.

(٣) ابن الأثير : المصدر نفسه والمجلد ، ١ : ٨٦.

«حصل المسلمون معه تحت القهر»^(١) لأن عادات المسلمين وتقاليدهم تختلف عن عادات الوثنيين وتقاليدهم، وبالتالي فقد وقع قهر كبير على المسلمين.

كون الأتراك الخطا دولة كبرى تقع بين مملكة الخوارزمشاهيين في الغرب ومساكن المنغول في الشرق وكان شاطئ نهر سيحون الحد الفاصل بين مملكة الخطا وأقاليم الدولة الخوارزمية^(٢).

عبرت جيوش الخطا نهر جيحون عدة مرات، وهاجمت أطراف خراسان، فقد أغاروا على بلاد خراسان الشمالية من نهر جيحون، وحدود بلخ، وترمد، وآمو، وطالقان، وكرزوان، وخرجستان حتى حدود الغور^(٣).

وكان حكام ما وراء النهر، وفرغانة، وخوارزم، وبعض المناطق في خراسان يرسلون جميعاً الأموال إليهم، وكان الخطا قد أسروا عدداً من المسلمين من هذه المناطق عدة مرات، وانقاد لهم ملوك الثغور فيما عدا سلاطين الغور وباميان الذين شقوا عصا الطاعة، وكان جيش ملوك الغور بقيادة القائدين البطلين خرجم ومحمد خرنك قد هزما جيش الخطا مرة أو مرتين، واستشهد القائد خرجم، وآخر جيوش الخطا التي عبرت جيحون هي التي مضت إلى خراسان وحاربت السلطان الغازي معز الدين محمد بن سام^(٤) سلطان الدولة الغورية^(٥).

بعث أهل بلاد ما وراء النهر بوفد من أهلها عام ٥٥٣هـ/١١٥٨م إلى أيل

(١) العماد الأصفهاني: المصدر نفسه، ٢٥٤.

(٢) عباس إقبال: المرجع نفسه، ٤٩؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي: المرجع نفسه، ص ١٩؛ منصور عبد الحكيم: المرجع نفسه، ٨٤.

(٣) جوزجاني: المصدر نفسه والجزء، ١١٥.

(٤) معز الدين محمد بن سام: سلطان الدولة الغورية حكم في الفترة من ٥٥٨-٥٩٩هـ/١١٦٣-١٢٠٢م. جوزجاني: المصدر نفسه، ترجمة عفاف السيد زيدان، ١: ٦٩٥.

(٥) نفسه، ٢: ١١٥، ١١٦.

أرسلان^(١) أمير خوارزم يستنجدون به من مظالم أمير سمرقند ، وأسرع أيل أرسلان إلى هناك في قوة كبرى ، وفتحت له بخارى أبوابها سلمًا ، إلا أنه لم يستطع أن يواجه الجيش الذي حشد له بظاهر سمرقند فعاد إلى بلاده دون أن يحقق شيئًا مما خرج له^(٢).

وفي سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م حاصر كورخان الخطا خوارزم ، وقتل خوارزمشاه تكش^(٣) منهم خلقًا كثيرًا ، ورفع الحصار ورجع جيش الخطا ، ورحل تكش في إثرهم ، وقصد بخارى فقاتله أهلها مع الخطا ، ثم استولى تكش عليها عنوة ، وعفا عن أهلها وأحسن إليهم وفرق فيهم ما لا كثيرًا ، وأقام بها مدة ثم عاد إلى خوارزم^(٤).

سيطرة خوارزمشاه على بلاد ما وراء النهر:

أخذ أهل ما وراء النهر يشكون إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه^(٥) مما حل بهم من ظلم وجور ، وكان السلطان نفسه في ضيق شديد لأدائه الخراج السنوي للخطا ، فعزم على الاستيلاء على ما وراء النهر^(٦).

وقد ذكر ابن الأثير : «أن الخطا كانوا قد طالت أيامهم ببلاد تركستان وما وراء

(١) أيل أرسلان : ابن أتسز تولى حكم خوارزم (٥٥١-٥٥٨هـ/١١٥٦-١١٦٣م) . عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٩م ، ص ١٦٠ .

(٢) فامبري : المرجع نفسه ، ١٤٩ .

(٣) تكش : ابن أيل أرسلان استولى على خوارزم من أخيه سلطان شاة ، توفي ٥٩٦هـ/١٢٠٠م . عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع نفسه ، ١٦١ .

(٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، ١٢ : ١٣٧ ، ١٣٨ ؛ النويري : المصدر نفسه ، ٢٧ : ٢٠٤ .

(٥) علاء الدين محمد خوارزمشاه : سلطان الدولة الخوارزمية (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢٢٠م) . محمد دبير سياقي : المرجع نفسه ، ٢٢ .

(٦) عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع نفسه ، ٢٥ .

النهر، وثقلت وطأتهم على أهلها، ولهم في كل مدينة نائب يجبي إليهم الأموال»^(١).

ضجر عثمان خان، خان سمرقند وبخارى من تحكم الكفار (الخطا) في المسلمين، فأرسل إلى خوارزمشاه يقول: «إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلدهم من أيدي الكفار، وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الأموال، ونحن نتفق معك على محاربة الخطا، ونحمل إليك ما نحمله إليهم، ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة» فأجاب خوارزمشاه: «أخاف أنكم لا تفون لي» فأرسل خان سمرقند وبخارى وجوه أهل بخارى وسمرقند بعد أن حلفوا للخان على الوفاء بما وعد، وأعطوا خوارزمشاه رهائن^(٢).

وقد ذكر الجويني أن العلاقة بين الخطا وعثمان خان كانت في البداية على خير ما يرام «حين استولى خانان القراختاي على بلاد ما وراء النهر انضوى السلطان عثمان خان بلاد ما وراء النهر يدعى (سلطان السلاطين) كذلك تحت حكم كورخان، واتبع أوامره ونواهيته. وقد أبقاء كورخان على ملك ما وراء النهر، ولم يضايقه، واكتفى منه بدفع بعض المال سنوياً، ووضع شحنة بموافقة لديه، فأمضى السلطان عثمان أيامه بالرفاهية واللذة»^(٣).

ثم ذكر السبب الذي دعى عثمان خان لمخاطبة خوارزمشاه فقال: «كان لكورخان ابنة صبيحة تشبه القمر في طلعتة، فعشق سلطان السلاطين جمالها.... فخطبها سلطان السلاطين، لكن كورخان لم يعبأ بطلبه بسبب تباين المقامين....

(١) ابن الأثير: المصدر نفسه، ١٢: ٢٥٩.

(٢) نفسه، ٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) الجويني: المصدر نفسه، ٢: ٣١.

فتأثر السلطان عثمان وتآلم ، وزاد في ذلك فظاظة الجباه والشحنة الكورخانيين^(١). وصفوة القول ، فقد أوضح لنا الجويني أن السلطان عثمان كان يعيش في ظل الكورخان في رفاهية ولذة ، لكن عندما رفض طلبه بالزواج من ابنة كورخان تذكّر أنهم كفار وتذكّر فظاظة الجباه والشحنة .

استقبل أهل بخارى خوارزمشاه باحترام بالغ وعندما وصل إلى سمرقند قدم خاقانها نصره الدين عثمان خان إلى خدمة خوارزمشاه . وتوجه خوارزمشاه إلى محاربة الخطا^(٢).

وفي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م عبر السلطان علاء الدين خوارزمشاه نهر جيحون لقتال الخطا ، وكان بينهم حروب كثيرة ، فاقتتلوا في بعض الأيام وانهزم عسكره ، وقتل منهم وأسر جماعة ، فكان من ضمن الأسرى خوارزمشاه هو وابن شهاب الدين مسعود وهو من أكابر أمرائه ، فتحايل على الخطا حتى هرب وعاد إلى خوارزم^(٣).

بعد وفاة الكورخان ، تولت ابنته فلم تطل مدتها وتوفيت ، فتولت أمها زوجة كورخان وابنة عمه ، وبقي ما وراء النهر بيد الخطا إلى أن أخذها علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م^(٤).

توجه خوارزمشاه لقتال الخطا في سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م فغبر نهر سيحون وهزم الخطا هزيمة منكرة ، وقتل وأسر الكثير منهم ، ووقع طابنكو قائد الجيش أسيراً ، واستولى خوارزمشاه على بلاد ما وراء النهر مدينة مدينة ، وعين نوابه على كل

(١) نفسه ، ٣١ ، ٣٢ .

(٢) ابن الأثير : المصدر نفسه والمجلد : ٢٦٧ ؛ النويري : المصدر نفسه ، ٢٧ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣) النويري : المصدر نفسه ، ٢٧ : ٢١٧-٢١٩ .

(٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، ١١ : ٨٦ .

المدن ، وعاد إلى خوارزم ومعه خان بخارى وسمرقند ، وزوجه ابنته ، وردة إلى سمرقند ، وصحبته فرقة من الجنود الخوارزميين^(١).

وبعد عودة عثمان خان إلى سمرقند بعام تألم لظلم الجنود الخوارزميين وجورهم واعتدائهم على الرعية ، فأخذ يسيئ إلى بنت خوارزمشاه ، وندم على مفارقة الخطا ، وأرسل إلى كورخان الخطا ليسلمه سمرقند ويعود إلى طاعته وأمر بقتل كل من في سمرقند من الخوارزمية ، وأراد قتل بنت خوارزمشاه فأغلقت أبواب القلعة عليها^(٢).

وصل خوارزمشاه رسول من ابنته يعلمه نشوء الخلاف مع السلطان عثمان ومشروع الصداقة مع كورخان ، ووضعها في مقام الاستهزاء في مجلس الأنس ، وزواجه من ابنة كورخان ، وعلم أيضا أن السلطان عثمان قتل مرافقي الأميرة^(٣). وذكر ابن الأثير أن خوارزمشاه عندما علم بهذه الأخبار «قامت قيامته»^(٤)، وأمر أن يسجنوا أخاه أوتكين في خوارزم ، وقد كان يرعاه ، وعينه على بعض الأقاليم ، وذهب بقواته إلى بلاد ما وراء النهر واستولى على سمرقند ، وأباح لرجاله نهب وقتل أهل سمرقند ، واستمر النهب والقتل ثلاثة أيام ، وقتل ما يقرب من عشرة آلاف مسلم ، فحمل الصالحون والأئمة والعلماء المصاحف فوق أيديهم وقدموا إليه يتشفعون ، فأوقف القتل^(٥).

(١) ابن الأثير: المصدر نفسه ، ١٢ : ٢٦٧؛ عباس إقبال: تاريخ إيران ، ٣٣٥؛ فامبري: المرجع نفسه ، ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) ابن الأثير: المصدر نفسه ، ١٢ : ٢٦٨؛ النويري: المصدر نفسه ، ٢٧ : ٢٢٣؛ عباس إقبال: المرجع نفسه ، ٣٣٦؛ محمد دبیر سياقي: المرجع نفسه ، ٤٦ : ٤٦٦. Howorth, *Loc. Cit.*, p.501.

(٣) الجويني: المصدر نفسه ، ٢ : ٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ١٢ : ٢٦٨ .

(٥) الجويني: المصدر نفسه ، ٢ : ٣٣؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي: المرجع نفسه ، ٤٢ ، ٤٣ .

وقبض على عثمان خان وقتله صبرًا، وقتل معه جماعة من أقاربه، «ولم يترك أحدًا ممن ينسب إلى الخانية»، وعين نوابه على جميع المدن، «ولم يبق لأحد معه في البلاد حكم»^(١).

وصفوة القول، قدّم خوارزمشاه خدمات جلييلة لأهل بلاد ما وراء النهر بانتصاره على الخطا وطردهم من بلاد ما وراء النهر، لكن جنوده أساءوا إلى الرعية، وقابل عثمان خان هذه الإساءة بإساءة أكبر بأن استدعى الخطا وقتل الخوارزميين، وأراد قتل زوجته ابنة خوارزمشاه، فما كان من خوارزمشاه إلا أن انتقم من عثمان خان وقتله جوعًا وعطشًا، لكن يؤخذ على خوارزمشاه إباحته قتل أهل سمرقند، فقد قتل منهم عشرة آلاف بدون ذنب، وتخلص خوارزمشاه من كل من ينسب إلى الدولة الخانية.

هزيمة الخطا على يد كوجلك خان^(٢):

كان كوجلك خان زعيم طائفة النايما (٣) فر من وجه جنكيزخان، التجأ إلى كورخان يحميه من الخاقان المنغولي وتمكن بدائه من تأسيس قوة عسكرية من فلول طائفته، وانضمت إليه قبائل أخرى، مما أثار كورخان ملك الخطا، وحدث قتال بينهما .

واتصل كلاهما بالسلطان علاء الدين محمد، بدأه كوجلك الذي عرض على

(١) ابن الأثير: المصدر نفسه، ١٢: ٢٦٨؛ الجويني: المصدر نفسه والصفحة؛ عباس إقبال: تاريخ

ايران، ٣٣٦؛ 501. *Howorth, Loc. Cit*.

(٢) كوجلك خان: ابن أونك خان ملك النايما. الجويني: المصدر نفسه، ٢: ١٠ حاشية (١).

(٣) قبيلة النايما: من الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المنغولي، يقطنون الحوض الأعلى لنهر أرخان ومنحدرات جبال آلتاي، وهم يدينون بالمسيحية. رينيه غروسيه: المرجع نفسه، ١٢٧؛ فؤاد الصياد: المرجع نفسه، ٩.

خوارزمشاه التحالف منتهزًا العداوة بين خوارزمشاه والخطا . ثم اتصل به أيضًا كورخان الذي وجد نفسه في وضع سيئ ، وعرض على خوارزمشاه تناسي العداوة والاتحاد لمواجهة كوجلج خان ، ولم يرفض السلطان علاء الدين محمد كلا العرضين وأرسل إليهما بالموافقة.

وعندما نشب القتال بين كوجلج والخطا وصل السلطان الخوارزمي إلى قرب المعركة بحيث رآه كلا الطرفين ، وكلاهما يظن أن الجيوش الخوارزمية جاءت لتؤازره ، ووقف السلطان ينتظر رجحان كفة أحدهما لينضم إلى القوة المنتصرة ، وعندما دارت الدائرة على الخطا وأسر كورخان ، اعمل خوارزمشاه وجيشه السيف في رقاب جيوش الخطا ، وعندما أسر كورخان زج به في السجن ، وتوفي بعد عامين .

وكانت الآثار المترتبة على تدمير الخطا في غاية الأهمية بالنسبة للعالم الإسلامي ، وذات أبعاد خطيرة على مستقبل الدولة الخوارزمية مما جعل السلطان علاء الدين محمد في موقف صعب ، فإن كوجلج خان فار من وجه جنكيز خان ، ولا بد أن تنشبت بينهما معركة مصيرية ، فوجهت أنظار جنكيز خان نحو الأقاليم الغربية من آسيا.

اعتلى كوجلج عرش الخطا ، وأخذ يقوي نفوذه على حساب القوى المتناثرة الضعيفة ، وأخضع عددًا كبيرًا من القبائل وكان بعضهم تابعًا للمغول ، فوسع أملاكه حتى شملت الأقاليم الممتدة من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية.

وتصرف كوجلج مع رعاياه المسلمين تصرفات عدوانية ، وحايى البوذيين ، وكان يدين بالمسيحية ، وتحت تأثير زوجته ابنة كورخان ارتد عن المسيحية واعتنق البوذية.

وطلب السلطان علاء الدين محمد منه اقتسام أملاك الخطا ، ورفض كوجلج خان ، وقضى جنكيز خان على كوجلج خان^(١) سنة ٦١٢هـ/

(١) ابن الأثير: المصدر نفسه ، ١٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ابن العبري : المصدر نفسه ، ٤١ ، النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧ : ٢٢٤ - ٢٢٦ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ٥٢ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : =

١٢١٥م^(١) وأصبح الصدام قادم لا محالة بين المنغول والدولة الخوارزمية.

ولاية براق وأسرته على كرمان

كان براق الحاجب وأخوه خميد بور من الخطا وفي عهد كورخان الخطا أرسل خميد بور رسولا إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه عدة مرات . وتواطى مع السلطان ضد تايينكو قائد جيش الخطا وتقربا من السلطان وغدا خميد بور أميرًا وبراغ حاجبًا.

حين ذهب السلطان إلى بخارى ترك خميدبور في ماوراء النهر مع عدة آلاف من الرجال لكنه توفي بعد قليل . واتجه براق إلى حدود العراق واتصل بغياث الدين^(٢) ، وغدا من اتباعه ثم من كبار أمرائه ، وتلقب بقتلغ خان ، وبعد العهود والمواثيق تسلم إمارة أصفهان.

وحين اقتربت جيوش المنغول بقيادة تولان جربى ، استأذن غياث الدين بالتوجه إلى أصفهان ثم التوجه لفتح الهند عن طريق كرمان ، وحين بلغ جيرفت وكمادى نصب رجال قلعة جواشير عليهم شجاع الدين أبا القاسم ، وطلبوا إليه تعقب براق والقضاء عليه ، فاتجه براق إليهم في خمسة آلاف من الخطا ، وهزم شجاع الدين وقتل غياث الدين .

أرسل براق إلى أمير المؤمنين يعلمه دخوله في الإسلام ويلتمس تشريفه بلقب السلطنة فعاد الرسول بالموافقة وتلقيبه «قتلغ سلطان»^(٣).

=المرجع نفسه ، ٤٣-٤٥ .

(١) النسوي : المصدر نفسه ، ٤٦ .

(٢) غياث الدين : اسمه بيرشاه وهو ابن علاء الدين محمد خوارزمشاه وكان ملك كرمان . الجويني :

المصدر نفسه ، ٢ : ١٠٢ ، ١٠٨ حاشية (١) .

(٣) نفسه ، ٢ : ١١٠-١١٣ .

وعندما أيقن أن الحكم أصبح في يد أبناء جنكيزخان ، أبدى الخضوع والإذعان ، وأرسل ابنه ركن الدين خواجه مبارك إلى أوكتاي قآن (٦٢٦-٦٣٩هـ/ ١٢٢٨-١٢٤١م) ، ومات والده قبل وصوله ، وقام ابن عمه قضب الدين بمصالح كرمان .

تابع ركن الدين مسيرته نحو القآن ، ومنحه القآن حكم ممالك كرمان ، وأصدر أمراً بتلقيبه «قتلغ سلطان» نفس لقب أبيه ، وعين عليه مربيًا هو جينقاي ، وأمر باستدعاء قضب الدين إليه لملازمته.

واتجه قضب الدين نحو القآن وبقي في خدمته حينما من الزمان ، ثم ذهب إلى الخطا وانضوى تحت خدمة محمود يلواج^(١) الذي أولاه بعطفه ، ورعاه رعاية الأب لابنه ، وأعزه وأكرمه.

وعندما تولى كيوك خان (٦٤٣-٦٤٦هـ/١٢٤٥-١٢٤٨م) استمر على مراعاة قضب الدين سلطان ، وكان يرى أن من المصلحة تعيين قضب الدين على السلطنة. وحين جلس منكوقا آن (٦٤٩-٦٥٥هـ/١٢٥١-١٢٥٧م) على العرش وفد قضب الدين برفقة الصاحب يلواج لمقابلة القآن ، فأولاه عطفه ، ومنحه وسام الرضا ، ومنحه حق السلطنة ، وسلم القآن ركن الدين إلى قضب الدين فقتله ، وغدا قضب الدين ملك كرمان بلا منازع ، فعاد إلى مقر مملكته وضبط أحوالها وأموالها ، وارتبط بعلاقات طيبة مع هولاءكو ، وزاره عدة مرات ، وظفر منه بكثير من الهدايا والتحف ، وتوفي ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

(١) محمود يلواج : فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد الخوارزمي ، وزير الخاقان ، من أعيان دولة جنكيز خان ، وإليه تدبير تركستان وبلاد الخطا وما وراء النهر ، وخوارزم ؛ فهو كاتب سديد يكتب بالمغولية والإنغورية والتركية والفارسية ، ويتكلم بالخطائية والهندية والعربية . خواندمير (غياث الدين بن هماد الدين ، المتوفي ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) : دستور الوزراء ، ترجمة حربي أمين سليمان ، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ، ٣٣٠ ، ٣٣١ .

وهكذا، فقد مكن براق لنفسه عندما ولاه سيده غياث الدين أصفهان، ثم انقلب على سيده وقتله، واستولى على كرمان واعتنق الإسلام، وأرسل إلى الخليفة ليقره على كرمان، ووافق الخليفة ولقبه قتلغ سلطان، وخطب ود المغول، وأرسل ابنه ركن الدين ومنحه أوكتاي لقب أبيه وحكم كرمان، واستدعى ابن عمه قطب الدين إليه، وفي عهد منكوقآن سلم ركن الدين لابن عمه قطب الدين الذي قتله وانفرد بحكم كرمان^(١).

ولاية جنتمور على خراسان ومازندان :

كان جنتمور أول أمير يعين على خراسان ومازندان، أصله من الخطا، وحين فتح توشي (جوجي) ابن جنكيزخان خوارزم استدعى جنتمور وعينه شحنة على البلاد، وترقى جنتمور حتى بلغ مرتبة الحجابة، وتمكن من إخضاع يازر ونسا وكروخ وجريسان. وتوفي ٦٣٣هـ/١٢٣٥م^(٢).

وهكذا رغم سقوط دولة الخطا في شمال الصين على يد أسرة كين، فإن جانب من الخطا ظل مقيمًا في الصين، وتحين الفرصة للثورة على أسرة كين، وساعدوا المغول ضد أسرة كين حتى تم إسقاطها، وتولى بعض الأمراء من الخطا شمال الصين فترة من الزمن. وذهب فريق آخر إلى التركستان، وأسسوا دولة لهم في التركستان وبلاد ما وراء النهر، واستمرت حتى قضى كوجلجك خان النايمن عليهم، ورغم ذلك تولى براق حكم أصفهان وكرمان، وتوارث ابنه ثم ابن أخيه الحكم في كرمان. وتولى جنتمور شحنة خراسان ومازندان حتى وفاته ٦٣٣هـ/١٢٣٥م.

(١) الجويني: المصدر نفسه، ٢: ١١٣-١١٥.

(٢) نفسه، ٢: ١١٦-١٢٠.

أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

- ١- اطلق على الخطا عدة أسماء منها خيتاي، خيطاي، خيتان، ختانية، ختاي، خطاي، قره خيتاي، قره خطاي، قراخطايون، لياو، لياو.
- ٢- حكمت أسرة لياو (الخطا) شمال الصين في الفترة من (٣٠٤-٥١٩هـ/ ٩١٦-١٢٥م)، أي حوالي قرنين من الزمان.
- ٣- حدود مملكة لياو (الخطا) من البحر الأصفر شرقاً إلى جبل آلتاي غرباً، ومن الصحراء المنغولية ووادي نهر هيلونغ شمالاً إلى سهول خبي جنوباً.
- ٤- عرف مقر ملوك أسرة لياو في اللغة الصينية باسم «جانجتشوخون قوي» و عرف عند المنغول باسم «جاوقوت» وعند الهنود باسم «تشين» .
- ٥- هاجمت أسرة لياو (الخطا) مملكة ماجين (أسرة سونج) حتى أرغمتها على توقيع معاهدة شان-يوان، تدفع بمقتضاها أسرة سونج لأسرة لياو مائة ألف أوقية من الفضة، ومائتي بي من الحرير.
- ٦- فرضت أسرة لياو (الخطا) الخراج على القبائل المنغولية والتركية المجاورة مثل قبيلة قيات قبيلة جنكيزخان والتتار.
- ٧- سيطرة أسرة كين على شمال الصين سنة ٥١٩هـ/ ١٢٥م، ورغم ذلك بقي جانب من أسرة لياو (الخطا) في الصين في ظل أسرة كين، ثاروا عليهم واستعادوا مملكتهم التي صارت من توابع المنغول.
- ٨- قام جنكيزخان بثلاث حملات ضد أسرة كين (الصين الشمالية)، وانضم إليه أحد أفراد أسرة لياو (الخطا)، وهو (بي-لو-ليو-كو) وكثيرون من بني جلدته، واستطاع مع القائد جيبي الانتصار، وأعلن نفسه ملكاً على شعب الخطاي تحت سيادة جنكيزخان.

٩- قاد جنكيزخان جيشًا للاستيلاء على عاصمة أسرة كين، وعندما اقترب أرسل قوة عسكرية بقيادة موقلي، وهو من أسرة ليائو (الخطا)، واستطاع دخول بكين عاصمة أسرة كين، وعهد إليه جنكيزخان بمهاجمة أسرة سونج.

١٠- اختار قوبلاي قآن عاصمة ليائو وكين عاصمة له، وعرفت باسم دادو، وباللغة الخطائية «جونكدو»، وأطلق عليها المنغول «دايدو»، وعرفها الأتراك باسم «خانبالق».

١١- هاجر الخطا إلى تركستان عن طريقين؛ أولهما: عبر بلاد الأتراك الأويغور إلى حوض نهر التاريم وفرغانة، وثانيهما: إلى غرب منغوليا ثم بلاد القرغيز أعالي نهر ينسي، وتعرض أصحاب الطريق الأول لبطش خان كاشغر، ونجح أصحاب الطريق الثاني.

١٢- بنى الخطا مدينة أميل، وسيطروا على بلاساغون واتخذوها مقرًا لحكومتهم، وسيطروا على كاشغر، وخضع لهم القرغيز والأويغور، وتدخلوا في تركستان الغربية (ما وراء النهر)، وهزموا خان سمرقند ٥٣٢هـ/١١٣٧م.

١٣- هزم الخطا السلطان السلجوقي سنجر في معركة قطوان قرب سمرقند ٥٣٦هـ/١١٤١م، واستولوا على ما وراء النهر.

١٤- كان أمراء ما وراء النهر يدفعون الخراج بانتظام، ويحكمون تحت تبعية كورخان الخطا.

١٥- هزم السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه الخطا، وأسر قائدهم طاينكو سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، وسيطر على ما وراء النهر.

١٦- هزم كوجلك زعيم طائفة النايمان (الخطا) وأسر كورخان وسجنه، وتم القضاء على دولة الخطا.

١٧- استطاع بعض أمراء الخطا أن ينضم إلى خوارزمشاه مثل براق الذي تولى

أصفهان ثم كرمان وحصل على اعتراف من الخلافة العباسية بسلطانه على كرمان ولقب قتلغ سلطان.

١٨- منح المنغول ركن الدين بن براق حكم كرمان في عهد أوكتاي وكيوك وعندما تولى منكوقآن سلم ركن الدين إلى ابن عمه قضب الدين فقتله وانفرد بحكم كرمان.

١٩- ولاية جنتمور أحد أمراء الخطا على خراسان ومازندان.



خريطة زكريا العام الاسلامي والغزوات الغولية (١٣٠٠م - ١٣٠٠هـ / ١٣٠٠م - ١٣٠٠هـ)

يذكر سلو جلبيت والنورو كورى : اطمس التاريخ الاسلامى ، ترجمه جبارده كجيتيه .
 النشر كذا المسريه الصاعية للنشر نو نجمان ، بيروت - لبنان ، ط ١٩٠٦ ، ٣٠١٦٦ ، خريطة رقم ٣١ منطقة ٤٣٠٤٣

عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم

١٨٢